

حسام ذيب: رحلة ثائرٍ من أرض النار إلى الموت في بلاد النجاة!

orient-news.net/ar/news_show/87948



"ولم نزل نحيا كأن الموت يخطئنا. ونحن القادرون على التحرر".. بهذه الكلمات يترجم ابن قرية الثعلة في محافظة السويداء الثائر حسام ذيب المعروف في غوطة دمشق بلقب (أبو أيهم الدرزي)، إصراره على القتال حتى انتصار الثورة، منتظراً الشهادة على أرض غوطة دمشق الطاهرة، التي قضى مع ثوارها أكثر من ثلاث سنوات في ظل الحصار، إلا أن الأقدار شاءت أن تنتهي رحلة النضال تلك بشكل صادم ينافي حلم ثائر.. أخطأ الموت في أرض المعركة!

ناشط سلمي دفعه الاعتقال لحمل السلاح!

عمل حسام ذيب قبل الثورة في مجال الكمبيوتر وكان يدر عليه دخلاً جيداً، وعندما هبّت رياح الربيع العربي في سورية، آمن بالنضال السلمي منذ أول صرخة حرية أشعلها أطفال درعا الأبية، قلبى النداء متظاهراً في الساحات من أجل العزة والكرامة في مناطق متفرقة بدمشق وريفها. وعلى الرغم من اعتقاله في نهاية حزيران عام 2011 لمدة شهر من قبل الأمن العسكري وتعرضه لتعذيب قاسٍ جداً، إلا أن ذلك لم يمنعه بعد الإفراج عنه، من الاستمرار بالنشاط الثوري، حيث تفرّغ للعمل في المجال الطبي والإغاثي والإعلامي..

وفي آذار 2012، تعرض منزل ذيب للمداهمة أكثر من مرة، ما دفعه للهروب إلى حي التضامن، حيث تعرّض للملاحقة هناك فقررّ التوجه إلى الغوطة والإقامة فيها، فنشط في الفترة الأولى في المساعدات الطبية والغذائية، ثمّ تسلّم المكتب الإعلامي في عين ترما.

من كتيبة إلى أخرى!

بعد أن اضطر السوريون لحمل السلاح دفاعاً عن أرواحهم وأعراضهم، اختار ذيب أن يكون جزءاً من النضال المسلح الهادف لحماية المدنيين، وعندما تعرضت الغوطة لاجتياح من قبل قوات النظام في آب 2012، انسحب مع المقاتلين إلى نواحي (العبداء)، بسبب انتهاء الذخيرة، وكان حينئذ يقاتل في كتيبة (الشيخ علي الدقر)، ليعود بعد ذلك إلى (سقيا)، وشارك في عملية ضرب الأربعة حواجز على المتحلق الجنوبي بعد نهاية رمضان، أواخر آب 2012، وبقي في كتيبة علي الدقر حتى تشرين الأول.

توجه (أبو أيهم) بعد ذلك إلى مركز عمليات (عين ترما)، وكان الدرزي الوحيد وقتها، لينتقل بعدها إلى (لواء جلق)، وبقي فيه أقل من شهر في قسم العلاقات الخارجية، وفي مطلع 2013، أعلن تشكيل كتيبة (فدائي بني معروف)، وكانت تضم 17 مقاتلاً، بغرض إظهار نشاط عسكري لأبناء السويداء في ظل انعدام إمكانية تحقيق ذلك في جبل العرب.

واستمرت الكتيبة تتبع للمجلس العسكري في السويداء حتى تغيرت بعض الظروف فاستقلت بقيادته تحت اسم (كتيبة يوسف العظمة)، وبعد ذلك انضم ورفاقه إلى اللواء الأول بدمشق في كتيبة المدفعية، بسبب قلة الدعم والتمويل.

وبشهاد رفاق أبو أيهم الدرزي بدوره في صناعة المدافع والصواريخ والقذائف المحلية، التي كانت رغم قلة الإمكانيات تقف سداً منيعاً أمام إرهاب قوات الأسد.

شح الدعم

عانى حسام ذيب طيلة تواجده في ريف دمشق من نقص الدعم، بل وانعدامه في فترات كثيرة، وكان يشكي من تقصير جهات نافذة من معارضة السويداء، العسكرية منها والمدنية، لخذلانها بمد يد العون له، على الرغم من أن تواجده كثائرٍ درزي في المناطق المحاصرة إلى جانب أهلها وثوارها، يمثل رمزية كبيرة للسويداء ككل.. وتأكيداً على أن ما يجري في سورية ليست حرباً طائفية أو مذهبية، إنما ثورة شعب أبي يتوق للحرية ضدّ طغمة حاكمية لطالما اختبأت خلف ستار الأقليات والطوائف.

مغادرة البلاد

مع تغير الظروف الميدانية والعسكرية في الغوطة الشرقية وخذلان من يفترض بهم المساعدة والدعم، اضطر أبو أيهم الدرزي إلى بيع سلاحه كي يسدد الديون التي تراكمت عليه وعلى كتيبته، رافضاً أن يتصدق عليه أحد، حتى أنه أعاد مبلغ أرسل له من إحدى الجهات لأنها كانت تريده تابعاً لها، حسبما يذكر الصحفي جديع نوفل في مقال نشر حديثاً.

اضطرّ حسام ذيب قبل أشهرٍ من الآن، إلى المغادرة خارج البلاد، نحو تركيا، ليتوجه فيما بعد إلى إحدى الدول الأوروبية، أملاً ببعض الاستقرار بعد أن تقطعت به السبل وعانى ما عاناه من ضيقٍ وتهديداتٍ بالنصفية، حيث تعرّض إلى محاولتي اغتيال في تركيا ونجا منها.. وقد سافر من تركيا إلى اليونان عبر البحر في رحلة انطلقت بقاربين غرق أحدهما بركابه بينما وصل الآخر الذي يقلّ حسام.. إلا أنّ قضاء الله وقدره كتب له أن يقضي في حادثٍ سيرٍ بين النمسا وألمانيا، ليختم رحلة نضال طويلة بين يدي الله عزّ وجل.

بدي بوس إيد إمي!

في آخر لقاء صحفي كشف (أبو أيهم الدرزي) أحلامه بعد انتصار الثورة، قائلاً: "بعد الثورة بدي روح بوس إيد إمي.. صار لي ما شفتها عدة سنوات. وبدي أخذ حبييتي، وفل لمكان ما فيه إنترنت وكهرباء... لأستعيد إنسانيتي.. كمان ما شفت حبييتي من زمان.. يمكن أطلع من البلد... روح أترك السلاح.. أصلاً لم يكن خيار ي. كنا مجبرين."

يجسد حسام الذيب مثال الثائر صاحب المبدأ والحلم.. فقد ضحّى بأسمى ما يملك من أجل هدف إنساني عظيم ثار لأجله ملايين السوريين.. ألا وهو الحرية والكرامة.. فيما تقرر دفنه في مقابر الغرباء في (النمسا) بعد أن ينست عائلته من مساعدتها حتى بإعادته إلى بلد مجاور ليدفن قريباً من تراب وطنه.